Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (6), Issue (13) : 30 Nov 2022
P: 68 - 83
ISSN: 2522-3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (6)، العدد (13) : 30 نوفمبر 2022م
ص: 68 - 83

Cultural identity and citizenship with the challenges of globalization

Huda Alshamsi
Higher Colleges of Technology || UAE

Abstract: Citizenship, as that emotional feeling that is based on three important pillars, including democracy in human rights and civil society and the relationship of citizenship to identity is the role of the individual in the active participation in the social construction of human societies, globalization in citizenship affects if there are members of society as individuals and groups as well as possible That the individual and social affiliations through the group of anthropological features that characterize social groups within society affect citizenship, and thus there can be a specific relationship between globalization and cultural or religious identity or other identity patterns, and globalization today threatens identity and citizenship on Both .

Since societies belonged to the system of globalization according to these global changes that forced societies to interact with globalization. Societies must be remedied this issue to preserve their identity and the affiliation of individuals to it, whether as a geographical or social dimension, and here the problem of research is formed in discussing the dimensions of citizenship, identity, globalization and the relationship between them and stands on the most important challenges facing societies.

We note that culture and citizenship are formed with the challenges of globalization as a mixture of directions for peoples, and therefore it changes the characteristics and identity of these peoples, so we must mention them. The country must develop long -term plans for the challenges of globalization, and thus began to suit peoples in their stability, and also weakens all the difficulties facing these peoples to preserve their identity and culture because of a great impact on those societies.

Keywords: identity، culture، cultural identity، globalization, Citizenship.

تحديات العولمة في صياغة الهوية والمواطنة

هدى الشامسي
كليات التقنية العليا || الإمارات

المستخلص: إن المواطنة بوصفها ذلك الشعور الوجداني الذي يرتكز على ثلاثة ركائز مهمه منها الديمقراطية في حقوق الإنسان والمجتمع المدني وعلاقة المواطنة بالهوية تتمثل في دور الفرد في المشاركة الفاعلة في البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية ، تؤثر العولمة في المواطنة أن وجدت لدى أفراد المجتمع بوصفهم أفراد وجماعات أيضا يمكن أن تؤثر الانتماءات الفردية والاجتماعية من خلال مجموعة السمات الإنثروبولوجية التي تتسم بها الجماعات الاجتماعية داخل المجتمع على المواطنة، وبذلك يمكن أن تكون هنالك علاقة من نوع معين بين العولمة والهوية الثقافية أو الدينية أو غيرها من أنماط الهويات، وتهدد العولمة اليوم الهوية والمواطنة على حد سواء .

وبما أن المجتمعات انتمت الى نظام العولمة وفق هذه التغيرات العالمية التي اجبرت المجتمعات الى التفاعل مع العولمة. لابد من المجتمعات ان تتدارك هذا الموضوع للمحافظة على هويتها وانتماء الأفراد لها سواء كبعد جغرافي أو اجتماعي وهنا تتشكل مشكلة البحث في مناقشة الأبعاد الخاصة بالمواطنة والهوية والعولمة والعلاقة بينها ويقف على أهم التحديات التي تواجهه المجتمعات.

ونلاحظ أنه تشكل الثقافة والمواطنة مع تحديات العولمة مزيجا من الاتجاهات بالنسبة للشعوب وهو بالتالي يغير خصائص هذه الشعوب وهويتها لذلك يجب أن ننوه عنها. يجب أن تضع البلدان خطط طويلة المدى لتحديات العولمة وبالتالي أخذ ما يناسب الشعوب في استقرارها وأيضا تضعف جميع الصعاب التي تواجهها تلك الشعوب لتحافظ على هويتها وثقافتها لما له أثر كبير في تلك المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الثقافة، الهوية الثقافية، العولمة، المواطنة.

مقدمة البحث:

تعد المواطنة بوصفها شعورا وجدانيا واحدا من أهم ثلاثة ركائز التي تقوم عليها الديمقراطية فضلا عن حقوق الإنسان والمجتمع المدني وعلاقة المواطنة بالهوية هي عملية تعزيز لدور الفرد في المشاركة الفاعلة في البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية اذا ما كأن هنالك نمطا من التوافق والتطابق بين الهوية الاجتماعية العامة التي تقوم على مجموعة من الأسس وبين الانتماء الجغرافي لمجتمع ما (المواطنة) بغض النظر عن الانتماءات الأخرى لفرد في الحياة الاجتماعية كالانتماءات الإثنية أو الدينية أو غير ذلك من السمات الإنثروبولوجية التي تتميز بها أشكال الهوية الاجتماعية لإفراد المجتمع أو للجماعات الاجتماعية التي يتألف منها البناء الاجتماعي والعولمة هي عملية توحيد المجتمعات الإنسانية ودمجها والتي تتسم بضرورة التعايش بين إفراده من خلال تحقيق المواطنة العالمية.

مشكلة البحث :

توجد عدد من التساؤلات التي دفعت بالباحث إلى دراسة العلاقة بين العولمة والمواطنة والهوية.

ما هي تعريفات كل من الهوية والثقافة والمواطنة والعولمة ؟

ما هي تحديات العولمة ؟

ما هي تحديات الثقافة ؟

ما هو تأثير العولمة على المواطنة والثقافة ؟.

فهل تؤثر العولمة في المواطنة أن وجدت لدى أفراد المجتمع بوصفهم أفراد وجماعات؟ وهل تؤثر الانتماءات الفردية والاجتماعية من خلال مجموعة السمات الإنثروبولوجية التي تتسم بها الجماعات الاجتماعية داخل المجتمع على المواطنة؟ وهل يمكن أن تكون هنالك علاقة من نوع معين بين العولمة والهوية الثقافية أو الدينية أو غيرها من أنماط الهويات، وهل تهدد العولمة اليوم الهوية والمواطنة على حد سواء .

منهج البحث :

سيعتمد الباحث على المنهج الوصفي حيث يتمثل المنهج الأنسب في التعامل مع الظواهر الإنسانية والاجتماعية.

يحمل المستقبل في طياته الخير لمن خطط له ، واستعد ، وسيطر على الأحداث الحالية ووجهها لصالحه ، وأما البعض الآخر يعيش حالة من رد الفعل لما يحدث حوله الآن وما قد يحدث في المستقبل ، وخاصة والعالم اليوم تحدث فيه تغيرات متسارعة متمثلة في الانفتاح والنمو المعرفي والتطور التقني ، بالإضافة إلي أخطار التذويب الحضاري ، والغزو الفكري عبر وسائل مختلفة ومتعددة ؛ تهدف إلى عولمة أفكار الشعوب وهويتهم الثقافية وقيم المواطنة والوطنية ، حيث ألغت الخصوصية ، وقللت الانتماء وأثرت سلبًا على كل شيء .

- الهوية : Identity : أخذ هذا المصطلح من " هُو " وهي مطابقة الشيء لنفسه ، أو هو حقيقة الشيء المشتملة على صفاته الجوهرية .(عبد العزيز التويجري ، 1997م ، ص 16)

- الثقافة : Culture : أنها طريقة الشعب في الحياة ، وهي جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه ، أو فئة اجتماعية بعينها، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات . (حسين مؤنس ، 1998م ، ص 385)
- الهوية الثقافية : Culture Identity : هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات العامة التي تميز هذه الإمة عن غيرها .(عبد العزيز التويجري ، 1997م ، ص 16)

أولا : المواطنة :

- المواطنة لغوياً :

المواطنة والمواطن مأخوذة في العربية من الوطن : المنزل تقيم فيه وهو " موطن الإنسان ومحله " وطن يطن وطناً : أقام به ، وطن البلد : اتخذه وطناً ، توطن البلد : اتخذه وطناء ، وجمع الوطن ، أوطان.

الوطن : مكان إقامة الإنسان ومقره ، ولد به أم لم يولد.

- المواطنة اصطلاحاً :

عرفتها موسوعة كولير الأمريكية ؛ بأنها أكثر أشكال العضوية اكتمالاً في جماعة سياسية ما.(أحمد صدقي الدجاني ، 2009 ، 5)

أما الموسوعة العربية العالمية ؛ فإنها تعرف المواطنة على إنها : اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن .(الموسوعة العربية العالمية ، 2011 ، 311)

وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريفها على أنها : مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية ، وتتحدد هذه العلاقة عن طريق القانون.(د. محمد غيث ، 2015 ، 56)

- ويمكن تعريف المواطنة إجرائياً : بأنها شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة اجتماعية لها ثقافة وتاريخ ومصير مشترك ، ويُنَظم هذا الشعور اجتماعياً وقانونياً وسياسياً ، ويساهم الفرد من خلال هذا الانتماء بشكل فاعل في الحياة الاجتماعية.

اقترن مفهوم المواطنة أو ما يدل عليه من مصطلحات عبر التاريخ بإقرار المساواة للبعض أو للكثرة من المواطنين ، على حد وصف (روبرت دال) للممارسة الديمقراطية الراهنة . (د .علي خليفة الكواري ، 2014 ،77)

وتعد المواطنة أوسع مدى من منطوق الكلمة ، فالمواطنة مشتقة من الوطن وما دام الوطن هو القضية وهو الأصل ؛ فإن كلمة المواطنة يحتويها إطار أوسع وهو الدولة الوطنية . (عاطف الغمري . 2017 ، 113)

فالمواطنة Citizenship هي صفة المواطن والتي تُحدد حقوقه وواجباته الوطنية . ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية ، وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو إليها الجميع وتوحد من أجلها الجهود وترسم الخطط وتوضع الموازنات .

ثانيا : عصر العولمة :

مع اختلاف تعريفات العولمة إلا أنها تأخذ عدة ظواهر:

- التقدم الهائل في وسائل الاتصال لاسيما ظهور الإنترنت والقنوات الفضائية

- هيمنة الغرب لاسيما أمريكا وسقوط المعسكر الشرقي وتأخذ هذه الهيمنة أبعادا عسكرية وإقتصادية وثقافية وسياسية .
- بروز المؤتمرات والمؤسسات الدولية والشركات متعددة الجنسيات

فإذا كان العصر الآتي سيشهد العديد من التغيرات مثل: الثورة المعلوماتية والغزو التكنولوجي ، فأنه سيشهد أيضاً تهديدات عديدة للثقافات الوطنية ، ومحاولات تذويب الهويات والخصوصيات الحضارية ، وسيطرة ثقافات دخيلة ، وطمس الشخصية القومية باسم العولمة .. ، فالعولمة كيان يدق على الأبواب ما يلبث أن يدخل محملاً بثقافته التي يريد فرضها على الجميع وذلك رغم الوعود العالمية بإحترام الموروث الثقافي .

وتشير إحدى الدراسات إلى أن هناك اختلاف بين الكثيرون في نظرتهم نحو العولمة ، وتتباين آرائهم ما بين :

- مؤيدون : يرون فيها خروجاً إلى عالم الإنفتاح ، والتمازج الإنساني .
- رافضون : يرون فيها استعمارا جديداً ، وتهديداً للكيانات الوطنية والإنتاج المحلى .
- مشاركون : يدعون إلى ضرورة المشاركة فيها، والاستفادة من مزاياها ، ومعرفة مساؤها ومحأولة تحجيمها . (إيمأن سند، 2005م)

ولابد من السعي للمشاركة في عصر العولمة ، وأن نمتلك ذخيرة من تاريخنا وتراثنا وثقافتنا التي تجعلنا أهلا للمشاركة ، فنحن لا نستطيع رفض العولمة على إطلاقها والإ نكون قد رغبنا في العزلة عن العالم ، وفرض الحصار حول أنفسنا في عصر السماوات المفتوحة ، ونحن لا يمكننا قبولها بمساؤها ، بل علينا تدعيم ثقافتنا ، وتغذيتها بروافد عديدة ، وتقوية الجهاز المناعي لدينا ، لنحفظ أنفسنا وهويتنا من مساؤى هذا التيار ، وفهم مقوماتها ، وشحذ عزائم أبنائها . (طلال عتريسى ، 1998م ، ص83)

فهل نترك ثقافتنا تندثر ، ونصبح مواطنين مجهولي الهوية ؟ أم نسارع إلى معرفة تاريخنا القومي والوعي به ، والانتماء إليه ، فالانتماء لا يعنى انتقاء حوادث حافلة بعينها والانتساب إليها ، بل الانتساب لكل التاريخ المصري بأمجاده وعثراته ، وتقبله ، ومحاولة فهمه ، والباحث في تاريخ مصر يجد أمامه سلسلة متصلة الحلقات ، فلا تكاد تنتهي دولة إلا لتبدأ أخرى ، ولا يرصد ظاهرة أصيلة حتى يفاجأ بها تظهر في عصر وتختفي في آخر ، ثم تعاود الظهور وكأنها كأنت هناك دوما ، ولا يحس بغازي يأتي إليها؛ لأنه يضيع وسط ثقافاتها ، فهي تملك قدرة خارقة على تمصير الوافدين إليها. (عفيف البهنسى ، 1997م ، ص41)

والآن لابد من تحصين خطوط الدفاع ، وسد الفجوات ، وتقليل العثرات ، وأن نحدد طريقنا ولا بحدده لنا الآخرون مسلكنا . كذلك نجتهد لنجعل من أنفسنا " متبوعون " لا " تابعون " ، فالقابلية للتابعية موقف نفسي يتخذه الفرد تحت وطأة إحساسه بالعجز والدونية وعدم قدرته على الاختيار والحكم السديد ، ولعل ذلك يرجع لضعف الشعور بالولاء للوطن ، والكرامة القومية ، وضعف الحمية والحماس لقضايا الوطن المجردة . بل والنظر إلى القضايا القومية على أنها شعارات ولى عليها الزمان . (جلال أمين ، 1999م ، ص 64)

ويعيش العالم الآن فترة حضارية على جانب كبير من الأهمية ، فلقد تغير وجه العالم تغيراً كبيراً فى بداية العقد الأخير من القرن العشرين وطرأت تغيرات هائلة على المجتمع العالمي في كافة الجوانب المختلفة .

فالقرن الحادي والعشرين يطلق علية عصر العولمة (Globalization) ، وأصبحت العولمة ظاهرة حياتية ، وأصبح العلم فيها وحدة واحدة بفضل وسائل الاتصالات والتطور العلمي والتكنولوجي حيث أصبح من المستحيل على أي شعب من الشعوب أن يعيش منعزلاً عن الشعوب الأخرى ، الإمر الذي يتطلب منه أن يكون متفهماً لدوره ومكانه في النظام العالمي الجديد .

ولقد أوجدت العولمة الكثير من التحديات التي تواجه الشعوب الإفريقية ، ومنها الشعب المصري والتي تتمثل في الانفتاح الثقافي والثورة التكنولوجية والمنافسة الاقتصادية ؛ فالغرب قاد هذه الظاهرة بما وصلوا إليه من تقدم علمي وتكنولوجي وما توافر لديهم من مناخ ثقافي واجتماعي وسيأسى ، ولذلك فالتعايش مع هذه التحديات يتطلب توافر قاعدة فكرية تهيء المناخ لسيادة العقلانية في التفكير والديمقراطية وحقوق الإنسان كقيم إنسانية ضرورية فى عصر العولمة ، وهذه مسئولية الجميع وفي مقدمتهم التربية ومؤسساتها .

العولمة وتحدياتها :

تواجه الأمم على اختلاف درجة تقدمها ، ومن وقت لآخر تحديات يمكن أن يكون لها تأثير على حياة تلك الأمم وبقائها ، والواقع أن العالم العربي بصفة عامة ، ومصر كواحدة من أهم الدول العربية ، تواجه سلسلة من التحديات هي من الغموض والخطورة بحيث باتت تعرقل مسيرة التنمية . وإذا كأنت العولمة تعنى دمج (Amalgamation) سكان العالم اقتصادياً وثقافياً وسياسياً في مجتمع عالمي واحد . (يوسف سيد محمود ، 2001 م ، ص110)

والعولمة الثقافية والتي تعد البعد الأكثر غموضاً وخطورة ، وذلك حيث أن الثقافة الإستهلاكية Consumer Culture آلية فعالة لتشويه البنية التقليدية ، وتغريب الإنسان Westernization وعزله عن قضاياه ، وإدخال الضعف لديه ، والتشكيك في جميع قناعاته الدينية والقومية والإيدلوجية ، وذلك بهدف إخضاعه نهائياً للقوى والنظم المسيطرة على القرية الكونية . ويعد الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية واحد من أهم التحديات المفروضة علينا بشدة في عصر السمأوات المفتوحة التي يمتلأ بالإقمار الصناعية التي تحمل مئات القنوات التليفزيونية من كل أنحاء العالم بما تحمل مئات القنوات التليفزيونية في كل أنحاء العالم بما تحمله من تأثيرات مختلفة تشكل الفكر والوجدأن على السواء .

أن العولمة وتداعياتها قد أخذت تكتسح ساحات مجتمعنا العربية في تحد رهيب ، سواء بالغزو أو بالتهديد أو بآليات الضغط الناعمة ، فلا فكاك من مواجهة أفاعيلها ومخاطرها ، وبخاصة في محأولاتها لتفكيك المجتمع العربي ، وتفريغ الثقافة القومية من قيمها وتوجهاتها ، وبالتالي يجب أن يلتزم التعليم في سياساته وهياكله ومناهجه بقضية الهوية الحضارية كأولوية مطلقة ، ليكون تعليما بالهوية وتعليما للهوية ، في مقارعة اختراقات العولمة السياسية والاجتماعية والثقافية . وذلك مثلما حدث في ألمأنيا بعد هزيمتها أمام نابليون ، ومثلما حدث في اليابأن ، وفرنسا بعد أن اكتسحها هتلر ، وهو ما حدث أيضا في أميركا عندما سبقها الروس في إكتشاف الفضاء ، وتم إعداد تقرير " أمة في خطر" في بداية الثمأنينات ، ثم تقرير" تعليم الإمة الإميركية في الثمأنينات" ليرسم تجديد النظام التربوي الإميركي ، ليحقق السبق لهم بعد ذلك . وهناك مجموعة من العوامل والتحديات التي ترتبط بالعولمة ، وتتمثل فى :

1- التحدي البيئي : فعلى الرغم من التقدم العلمي والتكنولوجي المذهل الذي وصل إليه الإنسان، الإ أنه مازالت البيئة تتحداه بالنكبات المتكررة التي بات موقف الإنسان عاجزاً أمام كثير منها.
2- التحدي الثقافي : وهو الذي يعد من أخطر أنواع التحديات، لما يستهدف من قيم وعادات وتقاليد ولغة وهوية هي أهم ما يميز مجتمعاتنا التي باتت فريسة لكثير من عمليات التغريب وسحق الهويات.
3- التحدي المعلوماتي : فبعد التحول من مرحلة النضوب المعرفي المتمثل في قلة المعلومات إلى ثورة المعلومات ، وحدوث فيض منها بات من الوفرة بما يشكل صعوبة بالغة في إختيار كم ونوع المعرفة التي ستعتمد المناهج عليها في تنمية الإراء ، فنحن نعيش عصر ثورة المعلومات الذي يشهد تغيرات سريعة ومتلاحقة ، لا نقول كل دقيقة ، بل كل لحظة .

4- التحدي الاجتماعي : بتأثير الإعلام العالمي بدأت تنمو المجتمعات متعددة الثقافات ، وأصبح كل ما هو تقليدي غير مرغوب ، وبرزت ثقافة التغيير والتقليد لكل ما هو غربي ، مما يعني أن المجتمع بات يتعرض لاختراق غير محدود انعكس على الأدوار الاجتماعية داخل المجتمع مما أثر على النسق الاجتماعي ، وظهور المشكلات الاجتماعية ، وما يصاحبها من ظاهرة البطالة التي تصاحبها أعراض الفقر والمرض والجوع والضياع .

5- التحدي التكنولوجي: والذي أصبح سمة من سمات العصر الذي نعيش فيه، ولا يستطيع أي مجتمع من المجتمعات أن يتخلف عن ملاحقة هذا التطور التكنولوجي في جميع ميادين الحياة ، والذي فرض مفاهيم وأساليب تكنولوجية حديثة، ومنها الحكومة الإلكترونية ، ومجتمع القرية والمدينة الإلكترونية ، وتوظيفها في جوانب الحياة المختلفة ، وأصبح الحكم على المجتمعات المتقدمة بمدى استخدامها لتكنولوجيا المعلومات والإنترنت .

6- التحدي الفكري: وهو ما يحدث عن طريق وسائل الإعلام والاتصال المختلفة ، وما ينتج عنها من تغيرات على المتعلمين في هيئة اتجاهات فكرية، وأفكار متطرفة .

وهناك تحديات القرن الحادي والعشرين وتشمل:

1. القوة السحيقة بين العالم النامي والعالم المتقدم في مجال المعلوماتية والتكنولوجيا الحديثة.
2. ما يسمي بصراع الحضارات بدلا من القول بتكاملها.
3. العداء المستقر دائما من إسرائيل وأمريكا والغرب ضد العرب والأفارقة والمسلمين كافة.
4. الثورة العلمية والتكنولوجية العالمية الهائلة.
5. تكنولوجيا الاتصالات المتقدمة.
6. العولمة بكل أثارها الإيجابية والسلبية لاسيما العولمة الإيديولوجية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية.
7. التغيرات المناخية والبيئية.

الثقافة Culture:

تشغل الثقافة أضخم ملفات المستقبل ، حيث لم تقم نهضة في أمة الإ وكأنت الثقافة في قلب مشروعها ، كما لم تتعثر أو تتخبط إلا بعد أن تخلت عن ثقافتها ، وتركتها تضيع وسط زحام العديد من الثقافات ، وتبنت ثقافة أو ثقافات أخرى لا تمثلها ، ولا تعكس عاداتها وتقاليدها وقيمها . (مصطفى حجازي ، 1998م ، ص5)

والثقافة هي زاد الشعوب وتاريخها ، وهى ما يميزها عن غيرها ، والحفاظ على الثقافة الوطنية والدفاع عنها واجب على كل مواطني الإمة وحق لهم في أن واحد ، وعليهم أن يتمسكوا بهذا الحق وأن يؤدوا ذلك الواجب والإ فقدوا هويتهم وانتمائهم وجذورهم التي تربطهم بالوطن .

مفهوم الثقافة :

أما كلمة ثقافة فهي مشتقة من :

الثقاف : حديدة تكون مع القوس ، والرماح يقوم بها الشيء المعوج .

التثقيف : التسوية .

والثَّقافة والثَّقاف : العمل بالسيف .

وثقفته : ظفرت به قال تعالى : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾. (سورة البقرة : الآية 191)

وثَقِفَ الشيء : حذقه (أي فهمه وأتقنه) .

ورجل ثَقِف : حاذق ، فَهِم .

تلك هي المعاني التي قصدها العرب بكلمة (ثقافة) ، فقد استخدموها بمعنى التقويم والتهذيب للرمح أو النبات ، واستعملوها أيضاً بمعنى الحذق والفطنة أو بمعنى النيل والظفر.

وقد تعددت تعريفات الثقافة وتنوعت حتى بات من الصعب تبنى تعريف واحد لها ، فالثقافة هي العقيدة واللغة ، والتراث والتراكم المعرفي الذي مرت به الإمة في تاريخها ، وهى أسلوب الحياة في أي مجتمع بما تتضمنه هذه الحياة من أساليب تفكير ، وأنماط سلوك ، أو حتى منتجات مادية .(محمد علي حوات ، 2002م ، ص 158)

والحق أن مفهوم الثقافة يُعد من أكثر المفاهيم تعقيداً، فهناك أكثر من 150 تعريفاً تؤكد في مجملها أن الثقافة تجمع بين كونها منتجاً أو إنتاجا، ولعل من أقدم التعريفات للثقافة، وأكثرها ذيوعاً حتى الإن لقيمته التاريخية، تعريف إدوارد تايلور الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه عن (الثقافة البدائية)، والذي يذهب فيه إلى أن الثقافة هي: "كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقأنون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع". وهكذا يبرز هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة كالأخلاق والقأنون والعرف التي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي، وتأخذ طابعاً إلزامياً إلى جانب العنصر المادي للثقافة علامة على العلاقات بين الناس، وبين العناصر المكونة للثقافة.

ولعل من أبسط تعريفات الثقافة وأكثرها وضوحاً تعريف أحد علماء الاجتماع المحدثين "روبرت برستيد" الذي ظهر في أوائل الستينيات من القرن العشرين حيث يعرفها بقوله "أن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع".

أي أن الثقافة تشمل الجانبين: المكونات والمنتجات العقلية من قيم ورموز وعادات وأيديولوجيات، وكنمط الحياة الكلي للمجتمع، والعلاقات بين الإفراد، والممارسات السلوكية وتوجهات الإفراد في حياتهم. وهناك من يربط بين الثقافة وبين وظيفتها وفعلها داخل المجتمع، ومن بين هذه التعريفات: "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يعني المساهمة والمشاركة في أنشطة المجتمع، وأنتاج المشروعات وإداراتها في كافة المجالات السياسية والإقتصادية والاجتماعية والتربوية". وعلى هذا النحو يسهم هذا التعريف في تنمية ثقافة المشاركة في عمليات الإنتاج والتنمية، وهي ثقافة تتمحور حول الإنسان وتأكيد قدرته على المساهمة العقلية والمادية.

وبتحليل مفهوم الثقافة يمكن أن نلمس أهمية دور الثقافة ممثلة في التراث في إحداث موازنة بين التجديد الثقافي وبين الموروث الثقافي. وإستعادة الموروث الثقافي من مقاصد الشريعة الكلية والضروريات الخمس (العقل ، والنفس ، والدين ، والعرض ، والمال في تأويل جديد لها) والنقد والفحص لمقومات الثقافة الغربية ، وما يفرضه الوافد الغربي من مقولات من مثل: التنوير، والعقل، والحرية، والديمقراطية، والمسأواة والعدالة الاجتماعية، والتقدم والعلم، وحقوق الإنسان. وكلها مقولات ليست غريبة على الموروث الثقافي العربي الإسلامي، ويعمل بها روح النص الديني ومضمونه، وليست أنماط ظاهرية، ومقولات أيديولوجية كما يدعيها الغرب.

نقف أولا على مفهوم الثقافة ثم نكشف عن العلاقة التي تربط الهوية بالثقافة ما الثقافة ؟ وما مكوناتها ؟ الجذر اللغوي للكلمة ثقافة هو الفعل الثلاثي " ثقف " أو " ثقف " بمعنى حذق أو مهر أو" فطن "أو" فطن " أي صار حاذقا ماهرا فاطنا فهو " ثقف " وقد ثقف ثقفا وثقافة وثقف الشئ أقام المعوج منه وسواه وثقف الإنسان أدبه وهذبه وعلمه ويرتبط الفعل ثقف بدلات ومعأن أخرى قد تضئ فهمنا لهذه الدلالة الرئيسية ومن ذلك إرتباطه بإدراك الشخص أو الشيء أو إصابته والظفر به أو صقله وتسويته حيث ورد في القران الكريم " ملعونين أينما ثففوا أخذوا وقتلوا تقتيلا "(الأحزاب ، الآية 61) وقوله " واقتلوهم حيث ثقفتموهم " (البقرة ، الآية 191 – النساء ، الآية 91).

ويعرف مجمع اللغة العربية الثقافة بأنها " العلوم والمعارف والفنون التي يتطلب الحذق فيها " .

ولكل مجتمع ثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات، فالثقافة تمثل حصيلة كل ما تعلمه أفراد مجتمع معين، وبذلك فهي تتضمن نمط معيشتهم وأساليبهم الفكرية ومعارفهم ومعتقداتهم ومشاعرهم، وإتجاهاتهم وقيمهم، فهي تعني تفاعل أربعة عناصر "الإنسان الواقف على أرضه، والمكان أو التراب الغالي الذي يعيش عليه والزمأن أي رهافة الإحساس بالوقت والالتزام به، والدراسة أي دراسة العقائد والتقاليد والفكر واللغة .(نعمات أحمد فؤاد ،2001م ، ص91)

فالثقافة في مجملها صورة الحياة وطريقة العيش في المجتمع لذلك يهتم كل مجتمع بعملية التطبيع الثقافي ونقل الثقافة وتنمية الاعتزاز بها من جيل إلى جيل.

مكونات الثقافة :

1- عموميات الثقافة: وهي العناصر الثقافية العامة التي يشترك فيها جميع أعضاء المجتمع، وهي بالتالي العناصر الأكثر أهمية بالنسبة لأفراد ذلك المجتمع وتشمل : الدين ، اللغة ، منظومة القيم ، والمعايير التي تحكم تصرفات الإفراد داخل المجتمع والعادات والتقاليد . وتأتي أهمية هذه العموميات من كونها هي التي توحد أبناء المجتمع الواحد ، وتؤلف بينهم وتعطيهم طابعهم الخاص ، أي هي التي تشكل الشخصية القومية أو الطابع القومي لذلك المجتمع .

2- خصوصيات الثقافة : وهي عبارة عن السمات الثقافية التي تتحلى بها جماعات خاصة داخل المجتمع مثل الطبقات الاجتماعية أو الفئات المهنية، فلكل منها مهارات وممارسات وجوأنب معرفية بل وأنماط سلوك تختص بها عن بقية الشرائح ، ومع أن أفراد كل شريحة يحيطون إحاطة تامة بنوع من خصوصيات الثقافة الإ أن بقية الإفراد في المجتمع ليسوا بمعزل كامل عنها، إذ أن كثيراً منهم يحيطون بها إحاطة عامة .

3- بدائل الثقافة : وهي في الغالب عناصر دخيلة على ثقافة المجتمع إذ تتسرب إلى الثقافة بسبب اتصالها بثقافات أخرى وتظل لفترة قد تطول أو تقصر موضع التجريب حتى يتقبلها المجتمع ويضمها إلي ثقافته أو يرفضها . (إيمأن سند ، 2005م)

خصائص الثقافة :

هناك خصائص عامة تتسم بها كل الثقافات ، وهذه الخصائص هي :

1- قابلية الثقافة للتعلم : أن الثقافة ليست شيئاً غريزيا أو وراثياً ينتقل بيولوجياً. ولكنها تنقل عن طريق التنشئة الاجتماعية ، فالثقافة قد تكونت عبر عصور ومراحل تاريخية حيث تعلمها واكتسبها المجتمع أو بعض أفراده ، ثم أضاف إليها من خبراته .

2- قابلية الثقافة للتناقل : تناقل الثقافة من جيل إلي جيل هو الذي يعمل على استمرارها ، وهذا التوارث هو الذي يكون التراث الثقافي (Cultural Heritage) الذي يرثه أفراد المجتمع .

3- تكامل الثقافة : تميل الثقافة إلي أن تشكل كلاً متكاملاً ، ويتحقق ذلك بحدوث ترابط بين السمات الثقافية المتشابهة من جهة ، وبين الجوانب المادية والمعنوية للثقافة من جهة أخرى . وإذا فشلت الثقافة في تحقيق أي منها يواجه المجتمع ما يسمي بالتخلف الثقافي (Cultural Lag) .

4- الثقافة متغيرة ومتطورة : تتغير الثقافة في الشكل والمحتوى طبقاً لحاجات المجتمع ، بالرغم من المقاومة الأولية التي يبديها المجتمع لمواجهة تيار التغير.

5- إنسانية الثقافة : تختص الثقافة بالعنصر البشري دون غيره من سائر المخلوقات لأن الإنسان له تاريخ يتذكره ، ويستفيد من خبراته لذلك كأن للغته فضل كبير في توصيل أفكاره إلي الأجيال التالية .

6- الثقافة اجتماعية شاملة : فالثقافة تضم كل أفراد المجتمع بكل طوائفه ، وحتى الثقافات الفرعية الخاصة بفئات معينة داخل المجتمع نجدها تصب في الثقافة الإم في النهاية ، فهي ثقافة جمعية في النهاية ، والجميع مستفيدون من جهود بعضهم البعض .

7- الثقافة نسيج معقد : فهي تتكون من عناصر كثيرة ومتشابكة من الاتجاهات والأفكار والعادات وغيرها تتداخل فيما بينها بحيث لا يستطيع المرء تمييز أو فهم إحداها الإ بفهم الأنماط والأفكار الأخرى .

8- الثقافة ديناميكية : فحركة الثقافة داخل المجتمعات تتصل إلي حد كبير بنوعية تلك المجتمعات ، فالمجتمعات البدائية ذات الأدوار المحفوظة والحياة النمطية تكون ذات حركة بطيئة ، وتغير بطئ ، فالعادات والتقاليد راسخة لا يمكن تغييرها بسهولة حتى وأن كأن يشوبها بعض الجهل والتخلف . واتصالها بالعالم الخارجي ضئيل ، لذا فحركة تطورها بطيئة أيضاً . ونجد عكس ذلك المجتمعات المتطورة التي ينتج أفرادها ويبتكرون وظائف جديدة لهم ولغيرهم كل يوم فتتسع حركتهم وحركة مجتمعاتهم . (محمد عاطف غيث وآخرون ، 1988م ، ص 286)

وأكدت (إيمان سند ، 2005م) على أن تلك هي خصائص الثقافة الأساسية ، إلا أنها بالتأكيد يضاف إليها كل يوم خصائص جديدة ، فالثقافة متطورة نامية متجددة .

وظائف الثقافة : تتمثل الوظائف التي ينبغي أن تقوم بها الثقافة في :

1- أنها تعمل على إشباع الحاجات البيولوجية ، والحاجات النفسية لأفراد المجتمع.

2- أنها تكسب الفرد الخبرات اللازمة للتعامل مع مجتمعه ، ومواجهة المصاعب وحل المشكلات .

3- أنها تمثل نوعاً من أنواع الضبط الاجتماعي بما تفرضه من معايير للسلوك لا يستطيع الفرد الخروج عليها .

4- أنها تميز المجتمعات عن بعضها البعض .

5- أنها تحافظ على الوحدة والتنوع في الوقت ذاته بأن تحقق نوعاً من التوازن بين عمومية المبادئ وخصوصية الطقوس .

6- أنها تشكل البناء العضوي لأفراد المجتمع ، وتحدد الأدوار والمراكز وطبيعة العلاقات والتعاملات فيما بينهم .

7- أنها تحفظ للمجتمع تراثه القديم ، وتقوم بنقله للأجيال الجديدة .

8- أنها تمثل خط الدفاع الأخير ضد أي غزو أياً كأن نوعه .

9- أنها تستوعب وجود الثقافات الفرعية داخلها ، بدون تعارض بين العام والخاص .

الهوية لغويا وفلسفيا:

أن البحث المتأني في معاجمنا يشير بما لا يدع مجالا للشك إلى حقيقة مؤداها أن المصباح المنير، والقاموس المحيط، ولسان العرب تخلو من مصطلح الهوية ، إذ لا يعدو الشرح عن أن تكون الهوية مستقاة من الفعل (هوى)، أي سقط من علٍ أو أن يكون معناها البئر البعيدة، وقد عرفه الجرجأني بقوله: أن الهوية هي "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق". فالهوية في حقيقتها ليست مجرد تعريف لغوي بل هي معايير للعقل والسلوك تحدد معنى الحياة التي لا معني لها ، بدون هذه المعايير وغايات الحياة التي لا غاية لها بدونها ، والهوية هي بضم الهاء وكسر الواو المشددة (هوية) .(جمال الدين بن منظور ، 1955م)

وأصل كلمة الهوية مأخوذ من قول : (هوهو) ، وقد ورد ذلك في حديث صفية عندما سأل عمها أبو ياسر والدها حيي (أهو هو) ، وذلك عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

والهوية بمعني الماهية ولعلها مشتقة من السؤال : ما هو ؟ أو ماهي ؟، ومن خلال ما سبق يتضح أن الهوية هي : حقيقة الشيء أو الشخص المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره .

وهذا يدل على أن مصطلح الهوية (من حيث الصياغة) غربي المنشأ، والضرورة ألحت للسؤال عنه في منطقتنا العربية لما يمر به المجتمع العربي المعاصر من أزمة هوية إزاء هزال التنوير المعاصر الذي يحمل في ثناياه أيديولوجيا الوعي الزائف ولعل التعريف الذي عرفته الثقافة العربية الإسلامية هو الذي عرفها بأنها (كنه الشيء وذاتيته)، فهوية الشيء تعني عينيته وتعني أيضاً وحدة الذات بالنسبة للإنسان ، وهوية الشيء تعني ثوابته التي تتجدد وتتغير وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة، أنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره ، وتتجدد فاعليتها ومكانتها دون أن تتغير أو تطمس معالمها.

الهوية العربية – القومية Identity :

جاء في تعريف الهوية في الموسوعة الفلسفية العربية: فرضت كلمة الهوية نفسها كمصطلح فلسفي يدل على ما به سكون الشيء نفسه.

ويعرفها المفكر الفرنسي (أليكس ميكشيللي) أنها منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوة والشعور بها .

فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة العناصر المادية التمايز والديمومة والجهد المركزي وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عمن سواه ويشعر بوحدته الذاتية.

ويعرفها المفكر السوري (علي أسعد وطفة) بأنها : كيأن يجمع بين انتماءات متكاملة وهوية المجتمع تمنح أفراده مشاعر الآمن والاستقرار وفي الوقت الذي يكون فيه المجتمع متعددا بانتماءات وفئات وجماعات عرقية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية.

والتعددية في الانتماء وتناقضاته أدت إلي حالة من التمزق الوجداني الداخلي عند الإنسان الإفريقي الذي تتنازعه مشاعر انتماء اجتماعية متعارضة ومتنافري على مختلف المستويات والأصعدة.

ويجب أن نضع في الإعتبار أن الهوية العربية والقومية الأصيلة التي صمدت عبر الزمن رغم عملات الإحتلال الأجنبي قديما وحديثا وتشمل العناصر والمقومات التالية:

1- تحديات مواجهة الإمة العربية للأخر.
2- الحفاظ على ثوابتنا العربية الأصيلة.
3- الحفاظ على عقيدتنا الإسلامية الراسخة رغم محاولات الآخر للنيل منها.
4- ضعف المحتوي اللغوي العربي في عالم المعلوماتية والإنترنت.
5- مشكلات وخلافات العالم العربي مع بعضه البعض.
6- تضاؤل أدوار ووظائف وأهداف جامعة الدول العربية في حل المشكلات العربية.
7- محاولة النيل من أهداف ووظائف وأدوار جامعة الدول العربية بل ومحاولة أمريكا خاصة لتصفيتها وإحلال هيئة شرق أوسطية تضم العدو الإسرائيلي محل جامعة الدول العربية.

وفى كتابه " التعريفات " يعرف الجرجأني (السيد الشريف على بن محمد) الهوية بأنها: " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق ".

أما مفهوم الهوية مأخوذة من " هو.. هو " بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته لذا نجد أن الجرجأني في كتابه الذائع الصيت " التعريفات " يقول عنها: بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب.

فهوية الإنسان.. أو الثقافة.. أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها ولما كأن في كل شيء من الأشياء – إنسانا أو ثقافة أو حضارة – الثوابت والمتغيرات.. فإن هوية الشخص هي ثوابته التي تتجدد وتتغير تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلى مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة. " أن هوية أيه أمة هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية. والهوية دائما جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود واللسان الذي يجرى التعبير به والتراث الثقافي الطويل المدى ، اللغة هي التي تلي الدين كعامل مميز لشعب ثقافة ما عن شعب ثقافة أخرى ثم يأتي التاريخ وعناصر الثقافة المختلفة فى صنع الهوية

وأهم عناصر الهوية الدين حيث في الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر وتصبح الهوية الإكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائد وغالبا ما تتحدد هذه الهوية دائما بالدين (هنتجتون، 1999م) وبالنسبة لمن يواجهون احتياجا لتحديد " من أنا ؟ " ، " ولمن أنتمي ؟ " يقدم الدين إجابات قوية وتوفر الجامعات الدينية مجتمعات صغيرة عوضا عن تلك التي فقدت أثناء عملية التمدين.

والهوية في غاية الأهمية ومنها تنطلق المصالح حيث الناس لا يمكنهم أن يفكروا أو يتصرفون بعقل في متابعة مصالحهم الخاصة إلا إذا عرفوا أنفسهم فسياسة المصالح تفترض وجود الهوية .

وإذا كأنت هذه هي الهوية وهذه أهميتها لكل أحد فأن الهوية عند المسلمين أكثر أهمية والإسلام وعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم كما أن اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب وإنما هي: الفكر والذات والعنوان التي أصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ القرآن العظيم كما أن العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية وإنما هي: العلم الكلى والشامل والمحيط ووحي السماء والميزان المستقيم والحق المعصوم الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه وهى منظومة القيم التي مرجعيتنا في السلوك فهي ليست نسبية ولا مرحلية.

الهوية الثقافية:

هي جملة الخبرات الاجتماعية، والحكمة الأخلاقية والدينية، والاتفاقات الإيديولوجية النظرية التي يصوغها مجتمع ما، بحيث تصبح تلك الخبرات والاتفاقات النظرية قوأنين مُلزمة، ومحكات أساسية ، ليس من اليسير إختراقها أو العبث بها أو محاولة تغييرها، الإ من أجل تطويرها والارتقاء بها فحسب والإضافة إليها، وليس طمسها أو محوها أو إزالتها وسلبها.

الثقافة الإسلامية:

تُعد الثقافة الإسلامية هي أبرز ما يحظى باتفاق أو شبه اتفاق بين العلماء والمفكرين عن حقيقة الإسلام، وعقيدته وشريعته التي يؤمن بها المجتمع الإسلامي، وهي الصورة الحية للأمة الإسلامية، والضابطة لسيرها في الحياة، والمحددة لملامح شخصيتها بين الثقافات الإخرى، وتتعرض الدول الإسلامية لتحديات تتمثل في تهميش الثقافة الإسلامية، وتعرض الهوية الإسلامية للغزو الثقافي، واتهام اللغة العربية بالعجز في تحقيق التقدم العلمي، ومواكبة قيم الحداثة، وتشجيع ثقافة الأقليات داخل المجتمع الإسلامي وكذا محاولة الغرب تعميم سلوكياته وأخلاقياته.

ويمكن تعريف الثقافة الإسلامية بأنها: "الثقافة التي تسترشد بالإسلام كمنهج حياة متكامل، تشمل القوانين والتشريعات والإحكام وأنماط السلوك المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، التي إختارها المولى عز وجل لتنظيم حياة البشر الروحية منها والمادية وفق إطار ومنهج ربأني صالح لكل زمان ومكان" ، ولا يعني ذلك أن تقتصر المنهجية الإسلامية على مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فحسب ، بل تشمل المنهجية الإسلامية إمكان المعرفة والاطلاع على المعارف الأخرى والاستفادة منها في كافة الحياة .(فاطمة الزهراء سالم ، 2008م)

ولقد أصبح الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية هو التحدي المطروح علينا بشدة في الإونة الإخيرة لأننا نعيش عصر السمأوات المفتوحة وشبكات الإنترنت بما تحمله من قنوات تلفزيونية مواقع إلكترونية ذات توجهات وتأثيرات مختلفة تشكل الفكر والوجدأن على السواء، وهذا التحدي ليس مطروحاً علينا كمصريين فقط بل مطروح علينا كعرب ومسلمين، لذا فأن مسألة دعم الهوية الثقافية في نفوس أبنائنا أصبحت على درجة كبيرة من الإهمية، والتربية المدنية تضلع بدور فعال في مواجهة هذا التحدي من خلال دعمها لنية الثقافة الوطنية والقومية وتأصيلها وتعزيزها من خلال التوازن بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا الثقافي .(رشدي أحمد طعيمه ، 1995م ، ص 61)

أما العلاقة بين الهوية والثقافة فأنها تعنى علاقة الذات بالإنتاج الثقافي ولا شك أن أي أنتاج ثقافي لا يتم في غياب حول مفكرة وأن كل ما في الذهن هو نتيجة ما تحمله الحواس وتخطه على تلك الصفحة (ذهن الإنسان) كما يذهب لوك والإتجاه التجريبي بشكل عام.

الخلاصة أن ذات الإنسان المفكرة هي التي تقوم بدور كبير في أنتاج الثقافة وتحديد نوعها وأهدافها وهويتها في كل مجتمع إنسانى وفى كل عصر من العصور وبناء على ما سبق فأنه يصعب أن نجد تعريفا جامعا مأنعا لمفهوم الهوية الثقافية فالهوية الثقافية تختلف من مجتمع إلى أخر ومن عصر إلى عصر كما تختلف باختلاف التوجهات الفكرية والإيديولوجية لمنتجي الثقافة العربية.

والهوية الثقافية هي في الغالب مستويات ثلاثة : فردية، جماعية ووطنية (قومية). والعلاقة بين هذه المستويات تتحدد أساسا بنوع " الإخر" الذي تواجهه أن الهوية الثقافية كيأن يصير يتطور وليس معطى جاهزا ونهائيا هي تصير وتتطور إما في اتجاه الإنكماش وإما في اتجاه الانتشار وهى تغتني تجارب أهلها ومعآناتهم بأنتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الإخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما فأن الهوية الثقافية لا تكتمل ولا تبرز خصوصيتها الحضارية ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على مواجهة العالمية وعلى الإخذ والعطاء الإ إذا تجسدت مرجعيتها في ثلاثة عناصر: الوطن والإمة والدولة .

- الوطن : بوصفة " الإرض " أو الجغرافية والتاريخ قد أصبحا كيأنا روحيا واحدا يعمر قلب كل مواطن . الجغرافيا وقد أصبحت معطي تاريخيا . والتاريخ وقد صار موقعا جغرافيا.
- الإمة : بوصفها النسب الروحي التي تعبر عن الثقافة المشتركة : وقوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها الإرادة الجماعية التي يصنعها حب الوطن أعني الوفاء لـ" الإرض والإموات " للتاريخ الذي ينجب والإرض التي تستقبل وتحتضن
- الدولة : وصفها التجسيد القأنوني لوحدة الوطن والإمة والجهاز الساهر على سلامتها ووحدتهما وحماية مصالحهما وتمثيلهما إزاء الدول الإخرى في زمن السلم كما في زمن الحرب .

التحولات المختلفة للهوية الثقافية ، يمكن استجلاء الإتي:

1- مفهوم الهوية الثقافية، مفهوم صعب تحديده أو تعريفه لاختلاف الإطر الإيديولوجية، والظروف المجتمعية داخل كل مجتمع على حدة.

2- أن وضع تعريف محدد للهوية الثقافية ، يكون بهدف الدراسة فحسب، أما مسألة التحديد في الواقع الإنطولوجي فهي مسالة في غاية الصعوبة ، نظراً للتحولات المختلفة للهوية الثقافية داخل المجتمع الواحد.

3- اختلف موضوع الهوية الثقافية بين مؤيد ومعارض، وتعددت التيارات الإيديولوجية التي تبرز الثقافة التي ينتمي إليها كل تيار، سواء كأنت ثقافة إسلامية أو ليبرالية أو علمأنية أو توفيقية وسطية.

4- من الصعوبة بمكأن، عزل مفهوم الهوية الثقافية عن السياق الفلسفي والاجتماعي لأي مجتمع، وما ينشأ داخل هذا المجتمع من أنواع للهوية الشخصية والعرقية والدينية والقومية والاجتماعية والثقافية.

على هذا النحو يمكن إقتراح صياغة التعريف التالي للهوية الثقافية ، مع الإقرار بأنه يظل قابلاً للمناقشة والإخذ والرد.

وأن تحصين الهوية العربية والإفريقية وتأكيد الهوية الثقافية العربية والإفريقية الموحدة ، وحماية اللغة العربية ، من أهم ما يجب أن تعكسه مناهجنا الدراسية العربية .

وتُعد الثقافة مورداً للتنمية وتكوين الهوية ، وفي منظومة القيم الثقافية ومؤشراتها عناصر تمثل ثوابت، وأخرى تعتبر من المتغيرات النسبية، وتظل الثوابت راسخة عامة ، وأن تنوعت ظلالها دون تغير في معأنيها أو الإلتزام مؤشراتها ، وتبقى قيم أخرى معرضة للتغير في ظلالها وفي معانيها وفي تجلياتها الاجتماعية والسلوكية.

ومن خلال الوعي بتلك الثوابت وعلاقة المتغيرات بها يتبلور ما يعرف بالهوية الثقافية ، والتي يحرص المجتمع على صيانتها وتعزيزها ، ومن ثم كأن الاهتمام بالرصيد الثقافي وتطويره وتجديده محوراً مهماً من محاور التنمية الشاملة ، وأداة من أدوات تواصلها ، ويقتضي الإمر الحفاظ على الثوابت الثقافية في معارفها واتجاهاتها وتوظيفاتها الاجتماعية باعتبارها الممثلة لجوهر الهوية والذاتية والتميز، وهذا ما يعنيه مفهوم الإصالة الثقافية ، وثمة مواجهة فكرية وسياسية بين الإصلة بكل ما تحمله من ثقافة الإمة وهويتها ، وبين المعاصرة بك لما تفرضه من تحديات وثقافات مغيرة ، وهل تقضي تعددية الثقافات على وحدة الثقافة ، وهل وحدة الثقافة مطلب ضروري ومُلح مع مطلع الإلفية الثالثة ؟(فاطمة الزهراء سالم ، 2008م)

عواقب الانسلاخ من الهوية الثقافية :

هناك عدة عواقب ، ومنها :

أ- الاكتئاب القومي : يتمثل في انتشار حالة عامة من الاكتئاب الشخصي ، وتتمثل أعراض تلك الحالة في :

1- التشاؤم المتسق : أي توقع حدوث المكروه غالباً .

2- الاستسلام المتسق : أي توقع العجز عن درء هذا المكروه في معظم الأحيان

3- الإحساس بالعجز والفشل الدائمين : وإرجاع كل نجاح إلى الصدفة أو إلى عوامل خارجية أما الفشل فإلى الذات نتيجة تدني القدرات . فالنجاح عابر يأتي من خارجنا أما الفشل فهو الإصل ويأتي من داخلنا .

وتساهم الإحداث المحيطة وظروف الحياة في وجود ذلك الشعور أما أن يستشري ، ويستمر في المجتمع (أي أن يصبح حالة عامة) فذلك مرجعه إلى افتقاد الشعور بالأمان والسلام النفسي لدى أفراد المجتمع ذلك الإمأن الذي يسكن الإنسان عند الانتماء لكيان أكبر من الذات الفردية يصمد للاحتماء به .(مصطفى سويف ، 2000م ، ص ص 110-112)

ب- أزمات الهوية Identity Crisis :

يعرف قاموس كامبريدج Cambridge أزمة الهوية بأنها : " شعور الفرد بأنه لا يعرف نفسه جيداً ، فهو غير متأكد من كينونته الحالية أو ما ينبغي أن يكون في الحقيقة " . (Sidney I. Landau، 2000: (Ed.)، p. 419)

وتحدث أزمات الهوية حينما يحس الفرد أن مجتمعه لا يحقق له الأمان الذي ينشده ولا يلبي حاجاته الضرورية ، بيد أن ذلك يختلف من شخص لشخص ، كذلك حينما يصعب أنصهار كافة أفراد المجتمع في بوتقة واحدة ، أو حينما تتعقد المعطيات الدولية ، مثل أزمة الهوية بعد حرب الخليج الثانية واحتلال الكويت. ومنذ قيام الحرب في لبنأن والهوية مهددة ومهمشة ، وعليه فقد مال الإنتاج الثقافي في العلوم الإنسانية (الاجتماعيات – التاريخ – الحياة السياسية) إلى البحث عن الهوية . ويصور أحمد أشقر الهوية الفلسطينية بأنها أصبحت هوية مهددة ، يهددها الصراع باستمرار نتيجة للغزو والإجتياح الإسرائيلي .(أحمد أشقر ، 2003م)

وقد أثبتت الدراسات حرص كثير من المهاجرين على التمسك بهويتهم الثقافية وهم بعيدون عن أوطأنهم ، ونتيجة لذلك فأنهم يواجهون مشكلات نفسية واجتماعية كبيرة تمنعهم من العمل بفعالية في تلك المجتمعات ففي دراسة (ديفيدسون Davidson،1998 Ann Lock) ، وكذلك دراسة (جلاتز ماير وبوردونا Glatzmaier ،2000 Luann) لم يتمكن الطلاب ذوي الثقافات العرقية المختلفة من التواؤم مع المجتمع الجديد ، وكأنوا يواجهون مشاكل جمة ، وذلك لتجاهل مدارسهم لغتهم وثقافتهم الإصلية، وفرض لغة وثقافة غريبة عليهم ، كما أنها أنكرت حقهم في التعليم الثنائي .

وفي دراسة (جوهاي ينج Jo،(2001) Hye – Yong) أصر الجيل الثأني من المواطنين الإمريكيين ذوي الإصول الكوبية على تعلم لغتهم الإصلية، وأقبلوا على تعلمها لإتقأنها تشبثاً بهويتهم والتمسك بها . كذلك في دراسة (ليمدج Limage،Leslie ،2000 .J) فقد أصر الطلبة المسلمين في مدارس فرنسا على تعليم الدين الإسلامي ، باعتبار العقيدة هي الجزء الإهم في هويتهم الثقافية ، وأصروا على ذلك حتى استجابت لهم الحكومة الفرنسية. ويتضح من ذلك أن انتماء الفرد لثقافته قد يصير جزءاً من كيأنه يحمله معه أينما ذهب ، بل وينقله لأبنائه وربما أحفاده.(ليلى عبد الستار علم الدين ،1993م ، ص15)

ج- التهوين من قدر الذات الجماعية (الإحساس بالدونية) :

وهو إحساس يتمكن من الإفراد في مجتمع ما بأنهم أقل من كل المجتمعات المحيطة ، وأنهم عاجزون عن الوصول لما حققته بقية الأمم من تقدم ، فيلجأون إلى حيل دفاعية منها : التغني بأمجادهم في الماضي ، وتجنب ذكر مواطن عجزهم أو تخلفهم عن الأمم الإخرى في الوقت الراهن ، ولكن ذلك يتلاشى تماماً في مواقف المواجهة مع مواطني الهويات الإخرى حيث يشعرون بالتقزم ، والدونية عند الإحتكاك بهم وبثقافتهم . وبالطبع لا يكون ذلك الشعور فردي؛ أي أن يقيم الفرد ذاته في مواجهة الآخر، ولكنه هنا يضع مجتمعه أمام ذلك المجتمع الغربي فيزداد إحساسه بالعجز، ويقوى عنده الشعور بالانبهار بحضارة الآخرين في مقابل الإحساس بالدونية حيال الذات . ويعوق ذلك الشعور أي علاقة مثمرة مع الإخر.

أهمية الدور الثقافي :

وتتمثل أهمية الدور الثقافي فيما يلي :

- الدور الثقافي ركيزة اساسية في صنع العلاقات الدولية .
- قدرته في كسر الحواجز الجغرافية والتاريخية ، والسياسية ، والاقتصادية بين الدول .
- تحقيق المصالح الاستراتيجية للدولة بأقل تكلفة وذلك في النظام العالمي الجديد
- يحمي الدولة من اكتساحها على يد الغزو الثقافي ، ويجعلها قادرة على الانتقاء والمواجهة . (أحمد محمد عبد الفتاح ، 2015م)

تأثير العولمة على المواطنة والثقافة (نتائج البحث) .

1- إن المواطنة مبدأ أساسي لجميع المجتمعات وهي دليل على استمراريتها من حيث التماسك الاجتماعي للمجتمع .
2- ان المواطنة هي من أهم عوامل الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمعات الإنسانية حتى ولو اندرجت هذه المجتمعات ضمن المجتمعات التي تأثرت بالعولمة .
3- ان العولمة والدور السريع التي تلعبه لتجعل العالم قرية صغيره تسعى بذلك لإنتاج نمط من المواطنة العالمية .
4- تتأثر الهوية الاجتماعية في جميع المجتمعات التي تتمثل بخصوصيتها المجتمعية حيث تمثل بذلك هوية فرعيه للأفراد في مجتمع العالم .

ختاما .. تشكل الثقافة والمواطنة مع تحديات العولمة مزيجا من الاتجاهات بالنسبة للشعوب وهو بالتالي هو يغير خصائص هذه الشعوب وهويتها لذلك يجب أن تنويه عنها . يجب أن تضع البلدان خطط طويلة المدى لتحديات العولمة وبالتالي أخذ ما يناسب الشعوب في استقرارها وأيضا تضعف جميع الصعاب التي تواجهها تلك الشعوب لتحافظ على هويتها وثقافتها لما له أثر كبير في تلك المجتمعات .

المصادر والمراجع :

- أحمد محمد عبد الفتاح (2015م) : البعد الثقافي للدور المصري في أفريقيا – مع التركيز على فترة مابعد الحرب الباردة ، جامعة القاهرة ، معهد الدراسات الإفريقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص 40.
- أحمد أشقر (2003م) : الهوية الفلسطينية الحديثة استحقاق سياسي ، فلسطين ، جريدة فلسطين، السبت 26 يوليو.
- أحمد صدقي الدجاني (2009) مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية ، مركز يافا للدراسات والأبحاث ، القاهرة ، ص 5 .
- إيمأن فتحي محمد سند (2005م) : فعالية حقيبة تدريبية في الهوية الثقافية المصرية لمعلمي التاريخ بالمرحلة الثانوية ، جامعة عين شمس ، كلية التربية ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، ص3.
- ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني، القاهرة، دار المعارف، 1984.
- ، الموسوعة العربية العالمية (2011) . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص 311.
- جلال أمين (1999م) : ماذا حدث للمصريين ؟ تطور المجتمع في نصف قرن 1945-1995 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 64 .
- جمال الدين بن منظور : لسأن العرب ، (15/ 374) ، (ط1374هـ - 1955م ، دار صادر بيروت)
- حسين مؤنس عصام محمد إبراهيم (2011م) : الجغرافيا السياسية ، القاهرة ، المكتب العربي للمعارف ، ص 145.
- د. محمد غيث (2015) . قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص 56 .
- د .علي خليفة الكواري (2014) . الديمقراطية والتنمية في الوطن العربي ، سلسلة كتب المستقبل العربي (30) ، ط 3 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص 77 .
- رشدي أحمد طعيمه (1995م) : الذات الثقافية في مناهج اللغة العربية وكتبها ، المجلة العربية للثقافة ، العدد 28 ، ص61.
- صلاح سالم زرنوقة (2001م) : العرب في إسرائيل - الواقع والمستقبل ، القاهرة ، مركز دراسات وبحوث الدول النامية ، جامعة القاهرة ، ص 200-220.

- طلال عتريسى (1998م) : الهوية الثقافية في مواجهة العولمة ، دمشق ، مجلة معلومات دولية ، مركز المعلومات القومي ، العدد 58 ، ص83.
- عفيف البهنسى (1997م) : العمرأن الثقافي بين التراث والقومية ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ص 41 .
- عاطف الغمري (2017) المواطنة والهوية الوطنية ، جريدة الأهرام المصرية ، العدد 43920 ،ص 131. .
- عبد العزيز بن عثمأن التويجري (1997م) : الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي ، الرباط ، أيسيسكو ، ص 16 .
- فاطمة الزهراء سالم (2008م) : نحو هوية ثقافية عربية إسلامية ، التداعيات والتحولات والتصورات ، القاهرة ، دار العالم العربي .
- ليلى عبد الستار علم الدين (1993م) : تنمية الوعي السياسي لطلاب الجامعة في مصر ، الجيزة، مركز التنمية البشرية والمعلومات ، مجلة التربية والتنمية ، السنة الثانية ، العدد 4 أغسطس ، ص15
- محمد عاطف غيث وآخرون (1988م) : الإنثربولوجيا الثقافية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ص 286 .
- محمد علي حوات (2002م) : العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ص 158 .
- مصطفى سويف(2000م) : مصر الحاضر والمستقبل ، القاهرة ، دار الهلال ، العدد 589 ، يناير ، ص ص 110-112 .
- مصطفى حجازي (1998م) : حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الإصولية ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ص5 .
- نعمات أحمد فؤاد (2001م) : ماذا يراد بمصر ؟ قضية التعليم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ص 91.
- يوسف سيد محمود (2001م):الجامعة والتفاعل مع ظاهرة العولمة، دراسة تحليلية تقويمية ، مجلة التربية والتنمية ، العدد 24، القاهرة ، ديسمبر، ص 110 .
- Sidney I. Landau، (Ed.): Cambridge Dictionary of American English (USA، Cambridge University Press، 2000)، p. 419.